ميمية الشهاب الحجازى

في

مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

المحتوى والفن

دكتور

محمود رزق حامد

مدرس الأدب والنقد

فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أمام البلغاء، وأفصح ما نطق بالضاد، خير من مدح، وخير من أثاب، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد

فلم أجد – من ألوان الأدب – أصدق عاطفة، ولا أطهر مقالاً، ولا أشجى كلاماً من الحديث عن النبي @، لا سيما مدحه وتعداد شمائله الكريمة وصفاته النبيلة ومن هذا المنطلق كان حتماً مقضيا أن أتفيأ ظلال النفحات المباركة العطرة وأتنسم شذاها الذى طالما عبق به الزمان والمكان، فطفقت مبتهجاً أبحث في هذا المجال حتى اهتديت إلى هذا العبق الزكى المنبعث من ذلك البستان الناضر، فكانت هذه الصفحات المتواضعة، التى تبحث فى مدح الشهاب الحجازي للرسول @ بقصيدة ميمية، لتكون هذه القصيدة وغيرها من مدائح النبي @ بمنزلة حلقة الوصل بين سابقتها ولاحقتها ليتواصل هذا الفن ويدوم ما دامت السماوات والأرض ولتكون هذه القصيدة – أيضاً – وغيرها من قصائد المديح النبوى إضافة جديدة لفن من فنون الشعر العربي له قداسته التى تنشرح لها النفوس وتسعد بها القلوب لتعلقه بنبي الرحمة @ الذى أخرج الناس من دياجير الظلام إلى أنوار الهداية والرشاد.

وقد آثرت أن أدرس قصيدة مديح للنبي فى عصر لم يحظ بما يستحق من الدرس، مقارنة بما حظيت به العصور السابقة عليه كالجاهلى وصدر الإسلام والأموى والعباسي، وإن درس كان – فى الغالب – محكوماً عليه بالضعف والانهيار وأعنى بالعصر هنا – العصر المملوكى (عصر الشاعر صاحب القصيدة).

كذلك لم يحظ مكان الشاعر وهو مصر في ذلك العصر بكثير من الدراسات الأدبية والعلمية التى تبين ذلك الدور الخطير الذى كانت تقوم به مصر لحفظ التراث العربي والإسلامى، فى فترة من أحلك الفترات التاريخية التى مرت بالأمة العربية والإسلامية؛ فترة الحروب الصليبية على الممالك والإمارات العربية والإسلامية.

وكان من الجدير بالباحثين أن يولوا دور مصر خاصة وبلاد الشام عامة عنايتهم لبيان حقيقة هذا العصر والكشف عن قيمته الفكرية والتاريخية.

والواقع كما يري بعض الباحثين كالدكتور محمد زغلول سلام وغيره أنه توجد عوامل كثيرة حالت دون أن تحظى تلك الفترة بالعناية والاهتمام لعلى أبرزها اهتمام الناس فى مطلع النهضة العلمية فى مصر والشام فى أواخر القرن الثامن العشر وأوائل القرن التاسع عشر كان يتجه إلى عصر العباسيين والأمويين ينشدون من ذلك البحث وراء العناصر القوية التى دفعت العلم والثقافة والأدب ليتخذوا منها عمداً ومحركات ودعائم تدعم الحركة الجديدة وتدفعها دفعات قوية، ولم يكن الاستعمار الثقافي لمصر والشام وبقية البلاد العربية ليسمح بأن تبرز قيمة مصر وبقية البلاد العربية والإسلامية، وكان دائماً يحاول تفتيت قوتها ثقافياً وسياسياً لتبقي الأمة الإسلامية دون قيادة.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تنقسم إلى فصول أربع تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة ففهرس للمصادر والمراجع وآخر للمحتوى.

أما المقدمة: فبينت فيها أهمية درس الموضوع فى عصره.

أما الفصل الأول: فجاء تحت عنوان القاهرة في القرن التاسع عشر وتناولت فيه الحالة التى كانت عليها مصر فى تلك الفترة تحت حكم المماليك كما تناولت فيه طرفاً من المديح النبوى فى زمن الشهاب الحجازى وقبله.

ثم الفصل الثانى: وتناولت فيه التعريف بالشهاب الحجازى وثقافته وأدبه وصفاته وأخلاقه ومكانته بين العلماء والأدباء.

ثم الفصل الثالث: وجاء بعنوان القصيدة الميمية وفيه أثبت نص القصيدة وقسمتها إلى عدة فصول حسب الأفكار.

أما الرابع: فيدور حول الدراسة الفنية للقصيدة.

ثم كانت الخاتمة وفيها أجملت ما توصلت إليه الدراسة.

هذا والحمد الله أولاً وآخراً

الباحث

الفصل الأول

القاهرة في القرن التاسع عشر

(١)

في منتصف القرن الثالث الهجرى تقريباً، استطاعت دول جديدة أن تحكم مصر حكماً مستقلاً عن الخلافة الإسلامية في بغداد، وتعاقبت هذه الدول على الحكم، وأتاحت لمصر فرصة لإظهار شخصيتها، فظهرت – مثلاً – الدولة الطولونية، فالإخشيدية ثم الدولة الفاطمية، فالسلطنة الأيوبية، فدولة المماليك البحرية [١] فدولة المماليك البرجية [٢]، وهذه الأخيرة هى التى غلب عليها الأتراك العثمانيون، وهؤلاء هم الذين أضاعوا استقلال الدولة "البلاد" المصرية، وجعلوها تابعة تبعية مباشرة للدولة العثمانية.

فإذا كانت الدولة الطولونية قد حكمت مصر منذ عام ٢٥٤هـ وكانت الغلبة للدولة العثمانية، والفتح العثمانى قد وقع فى عام ٩٢٢هـ فمعنى ذلك أن مصر تمتعت باستقلالها نحو سبعة قرون وهى مدة زمنية ليست بالقصيرة أتاحت لمصر " القاهرة " أن تخلف بغداد في الظهور على مسرح الأحداث السياسية، وأن تكون مركزاً من المراكز التى كان لها دور كبير في التفوق العلمى والحضاري، كحلب، وقرطبة وغيرهما.

١- سموا بذلك لأن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابتاع عدداً كبيراً منهم، ورباهم تربية عسكرية جيدة، وأنزلهم جزيرة الروضة مسكناً لهم وكان نهر النيل يحيط بها، لذا تسموا بذلك، ومنهم: عز الدين أيبك، وفخر الدين أقطاى، وبيبرس وقلاوون..... الخ.

٢- سموا بذلك لأن السلطان الناصر قلاوون وغيره من المماليك استكثروا منهم شراء وأسكنوهم أبراج القلعة، حيث يربون تربية عسكرية، ويسمون نسبة إلى مسكنهم المماليك البرجية، وهم المماليك الشراكسة ومن ملوكهم الظاهر برقوق وقنصوة الغورى .

أخذ خلفاء صلاح الدين يستكثرون من شراء المماليك الترك وجلبهم من أواسط آسيا وتكوين فرق عسكرية منهم في جيوشهم، وأكثر منهم خاصة السلطان "نجم الدين أيوب" وكأن الأيوبيين لم يتعظوا بما كان من هؤلاء الترك فى العصر العباسي الثانى واستيلائهم على مقاليد الحكم فى بعض الولايات الكبرى كما حدث في مصر نفسها لعهد أحمد بن طولون والإخشيد التركيين، وما أن توفي السلطان نجم الدين أيوب وخلفه ابنه توران شاه حتى استولى المماليك على صولجان الحكم والسلطان باسم شجرة الدر التركية، وسرعان ما أسلمت الحكم والسلطان... إلى عز الدين أيبك قائدهم، وظل المماليك من هذا التاريخ وهو سنة ٦٤٨ يحكمون مصر إلى الفتح العثمانى سنة ٩٢٢هـ [١].

وإذا حاولنا فهم التاريخ الوسيط لمصر وغيرها من الأقطار الإسلامية على ضوء من الوطنية أو الإقليمية، أو حتى القومية العربية لم يستقم لنا هذا الفهم، لأن الإسلام جاء يدعو إلى "أخوة إسلامية" لا تعرف التفرقة بين الأقطار التى انضوت تحت رايته، أخوة جعلها هذا الدين أساساً روحياً وسياسياً للعالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه، وكان من جراء ذلك أن ترك هذا الروح الإسلامى أثره فى الحكم والعقل المصريين:-

* أما فى الحكم فيبدو أن مصر كانت لا تعترض على الحاكم الأجنبي متى كان هذا الحاكم يعتنق الديانة الإسلامية، ومن أجل هذا لم يجد المصريون

---

[١]- تاريخ الأدب العربي – عصر الدول الإمارات مصر / شوقي ضيف / ٣٤ ط الثانية – دار المعارف.

وقد حدث خلاف بين توران شاه ومماليك أبيه بعد أن ارتقي عرش البلاد، أودى هذا الخلاف بحياته وأقاموا زوج أبيه شجرة الدر ملكة على البلاد ثم تزوجت من عز الدين أيبك وتنازلت عن الملك فانتقل بذلك الملك من الأيوبيين إلى المماليك .

غضاضة فى قبول الطولونيين، فالإخشيديين فالفاطميين فالأكراد من بنى أيوب ثم المماليك حكاماً عليهم، وكل هؤلاء ليسوا مصريين.

وأما فى العقل فواضح أن مصر – بحكم مركزها الإسلامى وموقعها الجغرافي– أصبحت محطاً لرحال الكثيرين من علماء المسلمين على اختلاف أقطارهم بما انعكس على نضج العقل المصري في جوانب شتى

* أضف إلى ذلك أن مصر – في ذلك الوقت – اكتسبت سيادة وزعامة على العالم الاسلامى كله لعدة أسباب منها:

– نجاح الدولة الأيوبية في محاربة الصليبيين، وإجبارهم على ترك ما سبق أن أقاموه فى الشرق من قلاع وحصون وإمارات لاتينية صغيرة مثل (قيسارية وأرسوف وصفد وتبنين والرملة ويافا وحصن الأكراد.... والرها وبيت المقدس)[١] وإعادتها إلى الراية الإسلامية.

– نجاح دولة المماليك فى صد تيار المغول الذين قضوا على بغداد رمز الخلافة، وقوضوا أسسها، وعرضوا الحضارة الإسلامية كلها للضياع، واجتاحوا العديد من البلدان التى كانت تنضوى تحت راية الإسلام والخلافة الإسلامية، كما وفق المماليك فى مكافحة الصليبيين – أيضاً – وطردوا البقية الباقية منهم نهائياً من الساحل.

– محاولة المماليك إحياء الخلافة العباسية في القاهرة – وإن كان الخليفة إذ ذاك شخصاً ليس له من الخلافة غير الاسم – وجلبهم الخلفاء العباسيين ليقيموا بها [٢] وبذلك اكتسب سلاطين المماليك صفة شرعية كبيرة خلقت لهم منزلة لا

١– السابق / ٣٦

١- رأى بيبرس أن انتصاره فى عين جالوت على التتار غير كاف فى تثبيت سلطانه فانتهز ظهور أمير عباسى بدمشق فر من التتار فاستدعاه إلى القاهرة حتى إذا تأكد من نسبه

يصبو إليها غيرهم من ملوك الإسلام وسلاطينه فى ذلك الزمان، كما خلقت لمدينة القاهرة صورة في أذهان الناس أزرت – أو كادت تزري – يومئذ بصورة بغداد وبغيرها من العواصم الإسلامية الأخري.

(٢)

دخل القرن التاسع الهجري ودولة المماليك مزدهرة الطالع في مصر والشرق[١]، وتعد أيام المماليك من أزهى أيام مصر الإسلامية إن لم تكن أزهاها، فقد ورثت عن بغداد الخلافة العباسية – كما سبق – وتوافد عليها العلماء والأدباء من كل حدب وصوب لا سيما من العراق وما وراءه فارين من وجه التتار، كما وفد إليها علماء وأدباء من الأندلس فارين من وجه الغزو القشتالى أو الأرجونى إذ بدأ الأسبان والبرتغال يقتطعون الدولة جزءاً جزءاً فصارت الأندلس تمر بأيامها الأخيرة، (كما وفد من قبل علماء صقلية وأدباؤها حين أحتلها النورمان)[٢] وبذلك تم لمصر أن تكون موئلاً للعروبة والإسلام والعلم والأدب، وتقاسم المجتمع حينئذ ثلاث طبقات ظلت متقابلة طوال زمن المماليك، هذه الطبقات هى:

إلى بنى العباس بايعه هو والناس بالخلافة فى حفاوة بالغة، ولم يلبث هذا الخليفة العباسي أن قلده سلطنة مصر والبلاد الشامية وغيرها مما يظله سلطانه، وبذلك ثبت عرشه ووطد سلطانه ضد أية محاولة قد يحاولها أحد الأيوبيين لاستعادة ملك آبائه، وظلت الخلافة العباسية قائمة بمصر طوال حكم المماليك (ينظر تاريخ الأدب العربي– عصر الدول والإمارات–مصر–شوقي ضيف/٣٥).

٢– ينظر الفتح المبين فى طبقات الأصوليين – عبد الله مصطفي المراغى – جـ٣ /٤ ط الثانية – الناشر محمد أمين دمج – بيروت

١– عصر الدول الإمارات مصر – شوقي ضيف – ٥٣.

طبقة الحكام وتعيش في الروضة أو القلعة وقد ظلوا محافظين على طبقتهم فهم لا يختلطون بالشعب، و**طبقة وسطى** من كبار التجار ورجال الدولة، **وطبقة دنيا** من الفلاحين والعامة ممن يزرعون الإقطاعيات وترهقهم الضرائب.

وازدهرت في مصر الزراعة واعتنى المماليك بإنشاء الجسور (وبنظام الري وبالثروة الزراعية وكذلك بالثروة الحيوانية)[١]

كما كانت الصناعة مزدهرة وكانت للدولة – حينئذ – مصانع للملابس، والفرش والأساس والجلود والحلى والمعادن والزجاج (وكانت الدولة تهتم بصناعة الأسلحة وسفن الأساطيل)[٢] وكانت التجارة بالمثل مزدهرة، بل كانت أكثر ازدهاراً ونشاطاً لا سيما ومصر تمسك بطرق التجارة من الشرق إلى الغرب وبالعكس، ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس وذلك قبل أن يكتشف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ٩٠٣هـ وكانت الدولة تحصل على دخل ضخم من مكوس التجارة.

كل هذا معناه أن دولة المماليك كانت ثرية ثراءً طائلاً، وهو ثراء أعدها لتنهض نهضة كبيرة بالحركة العلمية، وبفن العمارة، وتكتظ القاهرة بمساجد سلاطينها وقبابها الشامخة الرائعة.

(٣)

ظلت الروح العلمية فى مصر كالجذوة المتقدة التى لا تخمد مهما تراكم عليها التراب، فقد تتابعت عليها العصور وتتابع الحكام والدول تترا حتى العصر المملوكى فتنشأ – بجانب المدارس التى أنشأت في العصور السابقة له –

٢- السابق / ٥٤

٣- السابق / ٥٤

مدارس كثيرة بناها سلاطين المماليك[1] وأمراؤهم لتدريس الفقه والقراءات والحديث النبوى وغيرها من العلوم وأجروا الرواتب على أساتذتها وطلابها، كما ألحقوا بها المكتبات التى تشتمل على أمهات الكتب في سائر أنواع العلوم والآداب، (ولم تكن المدارس وحدها ساحات العلم لعهد المماليك، فقد كان يشركها الجوامع والمساجد، وفي مقدمتها الجامع الأزهر..... وسرعان ما أخذ الأزهر دوره التاريخى العظيم، فغدا أكبر جامعة للدراسات الإسلامية واللغوية..... واهتم به السلاطين والأمراء وأرباب الأموال فرصدت له أوقاف كثيرة على مر السنين)[2].

وبجانب هذا النشاط العلمى فى مدارس القاهرة ومساجدها كان هنالك نشاط مماثل في كل مدن مصر الكبري كالإسكندرية ودمياط والمحلة وطنطا والمنيا وأسيوط وقوص وإسنا، وكأنما أصبحت مصر ملاذ الحضارة العربية وموئل علومها وفكرها وآدابها، ومن يرجع إلى كتاب مثل (حسن المحاضرة للسيوطى) وما يذكره فيه –على الترتيب الزمنى– من أسماء الأئمة المجتهدين وحفاظ الحديث النبوى وفقهاء الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة وأئمة القراء – وعلماء النحو واللغة والتاريخ والصوفية والوعاظ وأصحاب علوم الأوائل من الطب وغيرها يخيل إليه أنه لم تبق بلدة فى العالم الاسلامى العربي إلا بعثت

١– أنشأ المماليك مدارس كثيرة منها: مدرسة الظاهر بيبرس عام ٦٦٢هـ وكانت تسمى المدرسة الظاهرية، ومدرسة السلطان المنصور قلاوون عام ٦٨٨هـ وكانت تسمى المدرسة المنصورية، والمدرسة الناصرية التى بناها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ إلى جانب العديد من القباب والمارستان والمساجد كالتى بناها السلطان برقوق والسلطان قايتباى، والسلطان الغورى – ينظر الخطط للمقريزى ٣/٣٤٠ وما بعدها.

إلى مصر ومدنها بشيوخها وبطلاب العلم في هذه الحقب من الدولة الأيوبية إلى نهاية العصر المملوكى بل وما بعده في أيام العثمانيين.

كما ازدهرت حركة التدوين فى ذلك العصر وكان على أقوى ما عرف في عصر من العصور، وذلك لأن العلماء أحسوا – بعد سقوط بغداد وفارس والشام وغيرها فى يد التتار وما فعلوه من إتلاف التراث الذى كان فيها – بالأمانة الملقاة على عاتقهم من تدوين ما خلفه السابقون خوفاً من ضياعه، كما أكثروا من التآليف حتى يسدوا النقص الذى أحدثته غارات التتار وما أبلته وحشيتهم، كما امتازت الحركة العلمية لعهد المماليك بكتابة دوائر معارف كبري تجمع مواد لفنون كثيرة كنهاية الأرب للنويري، والمستطرف للإبشيهى وغيرهما.

هذا كله كان مشفوعاً بتشجيع العلم والعلماء والإغداق على أهله من المال والعطاء مما يضمن لهم البقاء [٢] ولعل فى ذلك ما يصور خطأ الأحكام الجائرة التى صبت على مصر وخاصة أيام المماليك إذ نعت المؤرخون للأدب العربي هذه الحقب المتطاولة بأنها كانت زمن انحطاط وركود في جميع جوانب الحياة العقلية، وهو ما تنقضه الحقائق السابقة نقضاً [٣]

١- عصر الدول والإمارات مصر / ٨٤ وينظر فى ذلك أيضاً الخطط، للمقريزى ١٦٠/٣، ١٦٣.

٢- الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية – عبد اللطيف حمزة / ٣١ ط الهيئة العامة للكتاب.

٣- عصر الدول والإمارات – مصر – شوقي ضيف / ٨٦

المديح النبوى زمن الشهاب وقبله

لا يزال المديح النبوى من لدن الرسول @ إلى يومنا هذا يحتل – باعتباره فناً من فنون الشعر – مكاناً مرموقاً، لما للممدوح @ من منزله عظيمة عندنا معاشر المسلمين، ولما له من جليل الأثر في تعليم الناس وتهذيب البشرية وتبليغ رسالات ربه سبحانه وتعالى.

والمديح النبوى اختص به النبي@ تعبيراً عن عاطفة دينية هى الحب له، والإجلال لقدره، والتعظيم لصفاته وشمائله التى فاقت كل تصور، ابتغاء للأجر والمثوبة من الله تعالى، واستشفاعاً بهذا المديح عند نبيه@

ويري بعض الباحثين أن المديح النبوى لون جديد من المديح ابتكره الشعراء، وخصوا به رسول الله @ تعبيراً عن عواطفهم الدينية، وتقرباً إلى الله تعالى بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل الرسول @، ومن المعروف أن ما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء، (ولكنه فى الرسول @ يسمى مدحاً كأنهم لحظوا أن رسول الله @ موصول الحياة، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء) [١] .

وقد امتزج المديح النبوى منذ مطلعه عند الأعشي بالمدح والمنافرة على طريقة الجاهليين، وكذلك بالغزل والاعتذار عند كعب بن زهير، ولما تسلم حسان بن ثابت راية هذا الفن الجليل مدح الرسول @ مبهوراً بجلال دعوته، مسحوراً بجمال رسالته وعظمة عمله فمدحه مدح المدافع المفدى. والجندى المضحى فى سبيل قائده وفى سبيل عقيدته [٢].

١- المدائح النبوية فى الأدب العربي – زكى مبارك / ١٧ ط مصطفي البابى الحلبي ١٩٣٥م.

٢- موسوعة عصر سلاطين المماليك – محمود رزق سليم ٨ / ٢٨٢ط مكتبة الآداب مصر.

ولقد ذهب بعض الباحثين إلى أن قصيدة الأعشي – إن صحت – من أوليات القصائد فى مديح النبي، وهى التى بدأها بقوله:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمـــــدا وعادك ما عـاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنمـا تناسيت قبل اليوم خلة مهـــددا[1]

وهى – كما سبق – تدنو فى صورتها من صور المديح الجاهلى حين يخلط الشاعر ذلك بالحديث عن ناقته فيقول:

فآليت لا أرثـــي لها مــن كلالـة ولا من حفا حتى تزور محمدا
نبي يرى ما لا تـــرون وذكــره أغار-لعمري- في البلاد وأنجدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تريحي وتلقي من فواضله يدا
له صدقـــات ما تغــب ونائـــل وليس عطاء اليـوم مانعه غدا

وإن كان الشك يعتور نسبة تلك القصيدة إلى الأعشي[2]، لأن الأعشي لم يلق النبي@ فقد حالت دون ذلك قريش، وأن أبا سفيان ساومه على الرجوع في ذلك العام على أن يجمع له من الإبل مائة وأن يعاود اللقاء فى السنة المقبلة، لكن القدر لم يمهله فرمى به بعيره فقتله.

١- السليم: الملدوغ وسمى بذلك تفاؤلاً له بالسلامة، كما سميت الصحراء مفازة، ومهدد: من أسماء النساء، والخلة: المودة والحب.

٢- ينظر الخبر في الأغانى لأبي الفرج الأصفهانى ٩/ ١٤٧ ط دار الفكر لبنان – وتنظر القصيدة بديوان الاعشي – ١٣٥. وبعض الباحثين شككوا فى نسبة هذه القصيدة إلى الأعشي وقالوا هى منحولة عليه كما ذكر طه حسين فى (الأدب الجاهلى) وقال آخرون لا تعدو أن تكون مزاولة للتكسب بالشعر وقال بذلك كارل بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى ١٤٨/١.

على أن النبي @ كان موجهاً همه إلى تأكيد أسس الدين الجديد راغباً عن مديح الشعراء إلا أن بعض الشعراء أبوا إلا مدحه آخذين فى مديحهم له تأكيد جملة من المبادئ والقيم التى أراد الرسول @ إرساءها فى أذهان الناس عند بدء الدعوة، تلك الأسس والمفاهيم المتجسدة في سيرته الشريفة @، منها هداية الرسالة الإسلامية التى بشر بها رسول الله قومه قريشاً والعرب المحيطين به أولاً، ثم البشرية كافة بعد ذلك[١].

وكان من أول من مدحوا النبي @ بشعرهم، عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك الأنصاري، وأسيد بن أبي أناس، وإن كانت مدائحهم فيه أقرب إلى الشعر السياسي منها إلى المديح التقليدى يقول عبد الله بن رواحة:

نجالد الناس عن عرضه فنأسرهم ... فينا النبى وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس غالبنا ... حى من الناس إن عزوا وإن كثروا
....
فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسي ونصراً كالذي نصروا

فأقبل النبي عليه بوجهه متبسماً ثم قال: وإياك ثبت الله [٢]

ويقول كعب بن مالك:

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه ... نور مضئ له فضل على الشهب
بدا لنا فأتبعناه نصدقه ... وكذبوه فكنا أسعد العرب[٣]

١- الإسلام والشعر – سامى العانى / ١٣٢ سلسلة عالم المعرفة بتصرف.
٢- طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحى ٢٢٥/١ تحقيق محمود شاكر ط المدنى.
٣- ديوان كعب بن مالك تحقيق سامى مكى العانى / ١٧٤ ط دار المعارف – بغداد.
٤- أسد الغابة فى معرفة الصحابة – ابن الأثير ١٠٦/١ تحقيق خليل مأمون شيحا ط دار المعرفة – بيروت.

أما أسيد بن أبى أناس فكان قد نال من النبي @ فأباح النبى دمه، وبلغ أسيداً ذاك فأتى النبي @ فأمنه ومسح على وجهه وصدره فقال:

وأنت الفتى تهدى معداً لدينها ... بل الله يهديها وقال لك اشهد
فما حملت من ناقة فوق كورها ... أبر وأوفى ذمة من محمد(٤)

وكذلك مدحه أصيد بن سلمة السلمى فقال:

إن الذى سمك السماء بقدره ... حتى علا في ملكه فتوحدا
بعث الذى لا مثله فيما مضي ... يدعو لرحمته النبي محمداً
....
فدعا العباد لدينه فتتابعوا ... طوعاً وكرهاً مقبلين على الهدى
وتخوفوا النار التى من أجلها ... كان الشقى الخاسر المتلددا(١)

وكذلك مدح النبي @ عبد الله بن الزبعري، وبجير بن زهير، والعباس بن مرادس السلمى والنمر بن تولب وغيرهم كثير كثير، وقد حفظت كتب السير والصحابة أسماء معظم الشعراء الذين كانوا في عصر النبي @ وتوجهوا إليه بمدحهم، ولربما ضل بنا القصد لو أننا عددنا الشعراء الذين مدحوا الرسول @ أو أنشدوه شعرهم(٢).

وعد بعض الباحثين الصحابة الشعراء ستمائة شاعر، منهم أكثر من عشرين صحابية(٣).

غير أن التاريخ لازال يذكر بنوع من الفخر لامية كعب بن زهير في مديح الرسول @ والاعتذار إليه، وهى المسماة بالبردة أو " بانت سعاد" والتى يقول عنها كارل بروكلمان: (وهى من أشهر أشعار العرب وألبست الشاعر حلة مجد لا يبلي)(٤).

١- السابق ١/ ١١٩.

٢- دراسات فى الشعر العربي – محمد مصطفي هدارة ٣٩/١ ط مطبعة التقدم – مصر.

٣- شعراء حول الرسول – عبده بدوى ١٤ ط الزهراء للإعلام العربي وينظر العمدة لابن رشيق ٣٣/١ ط دار الجيل.

٤- تاريخ الأدب العربي ١٥٦/١ ترجمة عبد الحليم النجار ط دار المعارف.

كما كان للمديح النبوى فضل كبير في ذيوع شعر حسان بن ثابت وشيوعه، وذلك ما جعل بروكلمان وهو يؤرخ له يقول: (وأكثر شعر حسان قريب الألفاظ إلى حد الابتذال، ولا يصل إلى مستوى حد رفيع، وإنما يرجع فضل انتشاره والتعلق به فى الأزمنة المتأخرة إلى غرضه العظيم الأهمية وهو مدح النبي @) [1] .

ثم اتخذ الشعراء بعد ذلك من المنهاج الإسلامى القويم المنارة التى تهديهم فى تقويم شخوص ممدوحيهم من بعد، أو على أقل تقدير قياس تلك الشخوص الممدوحة على جيل الأوائل من الصحابة والتابعين من منطلق صلتهم بالرسول @ أو قربهم منه، كما باتت منزلتهم تقدر بتمسكهم بدينهم وسيرهم على منهاج نبيهم، ولا غرو أن ظل المديح النبوى هو المحك الذى يقاس عليه شخوص الممدوحين من الخلفاء والأمراء حتى نهاية العصر الأموى أو بعد ذلك.

وفى العصر الأموى لا نكاد نجد شاعراً يتجه إلى المديح إلا ومال بطبعه نحو المديح الدينى، ولا يغفل في مدحه صاحب الرسالة العصماء @ ومن هؤلاء الشعراء الكميت الأسدى، وكان معروفاً بتشيعه لآل البيت فكان يمدحهم ويعلن عن حبه للرسول @ وكان لا يعنيه أن يثير غضب بنى أمية وهو ينتقدهم لأنهم سلبوا الخلافة من الهاشميين، ومن هنا سميت قصائده بالهاشميات[2]، وقد انساق وراء هذه النغمة الدينية المشوبة بالعاطفة الحانية على آل بيت النبى @ كثير من الشعراء ولو لم يكن من المتشيعين لآل البيت أمثال الفرزدق [3] فى العصر الأموى ودعبل بن على الخزاعى فى العصر العباسي.

٥- السابق ١/١٥٣.

١- ينظر المدائح النبوية فى الأدب العربي – زكى مبارك / ٨٣ وما بعدها.

٢- وذلك حين مدح زين العابدين بن على، فى قصيدته الشهيرة التى بدأها بقوله:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأتــه والبيت يعرفه والحل والحرم
ومنها: إذا رأته قريــش قــال قائلهـــا إلى مكــارم هذا ينتهى الكرم
يغضي حياءً ويغضي من مهابته فمــا يكــلم إلا حيــن يبتسم

ينظر المدائح النبوية – زكى مبارك ٤٧.

ورغم اختلاف العصور وتغاير الأزمان، لم يحل انشغال الشعر – في العصر العباسي – بذلك المديح التقليدى الذى ملأ على الشعراء والممدوحين حياتهم صخباً ودوياً عن اللجوء إلى مناجاة النبى @ أو الثناء على أهل بيته فى قصائد كثيرة والتنديد بمن ظلمهم أو جار على حقوقهم، فنرى كثيراً من الشعراء يعتلون منابر مدح النبى وآل بيته الأطهار أمثال: كشاجم الرملى، والسري الرفاء وأبو فراس الحمدانى فى مثل قوله من قصيدة طويلة في مدح رسول الله @ وأهل بيته:

أهوى الذى يهوى النبى وأهله أبداً وأشنأ كل من يشناه

وكذلك من هؤلاء الشعراء، الصنوبرى، ومهيار الديلمى، ودعبل بن على الخزاعى وغيرهم وإن امتزج المديح عندهم بالنزعة السياسية والاحتجاجات المذهبية واتخذوه وسيلة إلى نصرة أوليائهم من آل البيت وتسفيه أعدائهم.

وكان المديح النبوى يقترن بشعر التصوف من قديم، وأخذ حسان بن ثابت وكعب بن زهير والشعراء يمدحون الرسول @ وأخذت هذه المدائح تتكاثر منذ القرن الرابع الهجرى، تكاثرت على ألسنة أهل السنة مجسدين فى الرسول @ المثل الكامل للمسلم فى نسكه وجهاده فى سبيل نشر دعوته ورسالته النبوية، وكذلك على ألسنة الشيعة ذاهبين إلى أن نوره المحمدى يتجسد فى أئمتهم من بعده، وبالمثل على ألسنة الصوفية، وقد مضي هؤلاء المادحون ينوهون بصحابة الرسول @ وبمعجزاته المادية، ومعجزته الكبري القرآنية مع التوسل إليه بطلب الشفاعة يوم العرض، وأن يكون دائماً معيناً ونوراً هادياً لهم، ومازال الشعراء المصريون مثلهم مثل شعراء العالم الاسلامى يتغنون بمدح الرسول @، حتى إذا نشبت الحروب الصليبية، وكانت حرباً دينية، أخذ حملة الصليب يهاجمون رسول الإسلام بوسائل منكرة [1] واندلعت الحروب بين المسلمين وبينهم، فكان طبيعياً أن يزدهر المديح النبوى للرد على أعداء الإسلام من جهة، ومن جهة ثانية لرفع سيرته العطرة وجهاده في نشر رسالته شعاراً يتخذ منه الزائدون عن حمى الإسلام القدوة الحسنة.

١- عصر الدول والإمارات – مصر – شوقي ضيف / ٣٥١.

وما زال هذا الفن حتى وافي العصر المملوكى، وكانت النزعة الدينية به طاغية، وكان لها آثارها الضخمة في الحياة السياسية، وكيف غذتها العوامل الثقافية، وكيف عاش المجتمع على دعامة قوية منها، وكيف كانت العناية بارزة بدراسة حديث الرسول @ وشرحه، ومديحه، وكان لا يخلو ديوان شاعر مصرى حينئذ من مدحة أو مدائح نبوية، خاصة منذ ظهور " البوصيري" أشهر مادحى النبي @ فى القرن السابع الهجرى، والذى وصل بهذا الفن إلى ذروة رفعته، وجعل منها مقاماً رفيعاً للتبرك والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا سيما فى بردته، وهمزيته اللتان اتخذهما الشعراء نبراساً يسيرون على ضوءه، وطريقة ينسجون على منوالها واحتذائها.

وما من جيل من أجيال الشعر – بعد البوصيري – إلا سعد بطائفة من الشعراء أبدعوا فى هذا الفن ما شاء لهم الإبداع، وأطالوا فيه ما شاء لهم طول نفسهم، وتباروا فيه مباراة الحريص على النصر والظفر، وكان من بين هؤلاء تقي الدين محمد بن على المشهور باسم ابن دقيق العيد المتوفي سنة ٧٠٢هـ وله أكثر من مدحة نبوية، ومن قوله فى مديحه @:

لم يبق لى أمل سواك فإن يفت ودعت أيام الحيـــاة وداعــاً
لا أستلذ لغير وجهك منظــراً وسوى حديثك لا أريد سماعاً (١)

ومن شعراء المديح النبوى فى العصر المملوكى الشاب الظريف، ومحى الدين بن عبد الظاهر، وزين الدين بن الوردى، والشهاب محمود الحلبي والفتح بين سيد الناس اليعمرى، وشمس الدين الباعونى وجمال الدين بن نباته المصرى، وشهاب الدين بن حجر العسقلانى والشهاب المنصورى، والبهاء السبكى وتاج الدين بن عربشاه وصفي الدين الحلى وغيرهم (٢).

١- السابق / ٣٥٢.

٢- ينظر موسوعة عصر سلاطين المماليك – محمود رزق سليم م ٨ / ٢٨٤ بتصرف طفيف.

كل هؤلاء اتخذوا من شخصية النبى @ في مدحهم النموذج الأمثل الذى تجسدت فيه كل معانى الفضيلة، وكل المعانى الإنسانية الرفيعة التى نزل بها الوحى حتى نصل إلى شاعرنا الشهاب الحجازى الذى سار على درب من سبقه في هذا الاتجاه.

الفصل الثانى

أضواء على حياة الشهاب الحجازى وأدبه

☚ ***الشهاب الاسم والمولد*** :

هو أبو العباس، أبو الطيب، شهاب الدين، زكى الدين، أحمد بن محمد بن على بن حسن بن إبراهيم الانصارى الخزرجى السعدى العبادى الشافعى ويعرف بالشهاب الحجازى[1].

١- ينظر ترجمته فى (معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة ١٣٠/٢، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافى – ابن تغرى بردى ١٩٠/٢، وبدائع الزهور فى وقائع الدهور – ابن إياس الحنفي ٥٧/٣، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب – أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ٣١٩/٧ مكتبة القدسي، ومعجم الأدباء من العصر الجاهلى حتى سنة ٢٠٠٢ م – كامل سلمان الجبورى ٢٦٩/١ دار الكتب العلمية بيروت وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادى ١٣٣/١ مكتبة المثنى بغداد، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة – جلال الدين السيوطى ٣٣٠/١، وتاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٥٠/٦ ط الهيئة العامة للكتاب، والأعلام لخير الدين الزركلى ٢٣٠/١ دار العلم للملايين بيروت، وتاريخ آداب اللغة العربية – جرجى زيدان ١٣٦/٣ ط دار الهلال، كما ترجم له صاحب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ١٤٧/٢).

ولد فى شعبان سنة سبعمائة وتسعون ٧٩٠ هـ فى البدرشين قرب البيبرسية[١] وطاف به أبوه يوم سابعه بجوانبها تبركاً بأماكن الصالحين

☚ *ثقافته وشيوخه*:

كان الشهاب الحجازى معروفاً بحافظته السريعة، فحفظ القرآن الكريم وجوده، وتعلم الفقه والحديث ودرس النحو والصرف والبيان وغيرها من علوم العربية، كما تعلم الفرائض والمنطق والعلوم العقلية، والعروض والخط، والموسيقي والأنغام وقرأ كتاب التنبيه في فقه الشافعية للشيرازى (ت ٤٧٦ هـ) كما قرأ ملحة الإعراب والمقامات للحريرى [٢].

أجاز له جماعة من العلماء والأعلام فى عصره كالعراقي والهيثمى وغيرهما، وبعد أن أكمل دراسة الفقه والأصول والعربية، وكتب الخط المنسوب، عكف على فنون الأدب زاهداً فى غيرها حتى غلب عليه اختصاصه فى الأدب، وصار أحد أعيانه، وأوحد أهل زمانه فيه بعدما طارح أدباء عصره وفاقهم.

☚ *ومن شيوخه الذين تلقي عنهم وتتلمذ عليهم*:

– أبوه شمس الدين محمد، وقد قرأ عليه القرآن وجوده، كما علمه الموسيقي ومعرفة الأنغام.

– البارنباري ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب الشافعى (ت٨٣٢هـ) وعند أخذ العروض.

٢– هى المعروفة بالمدرسة الظاهرية أنشأها الظاهر بيبرس وأتم بنائها عام ٦٢٢هـ – ينظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – المقريزى ٣٧٨/٢ مكتبة الثقافة الدينية.

١– الحريري: القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات ولد سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م برع فى الأدب والنحو والبلاغة ووضع عدداً من المؤلفات منها (درة الغواص، ملحة الإعراب) توفي سنة ٥١٠/١١١٦ – وفيات الأعيان – ابن خلكان ٦٣/٤ .

– البرماوى شمس الدين محمد بن عبد الدايم الشافعى (ت٨٣١هـ) وولى الدين العراقي قاضى القضاة أحمد بن عبد الرحيم (ت٨٢٦هـ) وكمال الدين الدميرى، وعنهم أخذ الفقه وأصول الحديث.

– البساطى قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد المالكى النحوى (ت٨٤٢هـ) والفيروزابادى مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨٣٦) صاحب القاموس المحيط، وعز الدين بن جماعة، وعنهم أخذ النحو وعلوم العربية.

– ابن حجر العسقلانى شهاب الدين أحمد بن على العسقلانى الشافعى (ت٨٥٢هـ)، وزين الدين العراقي، وعنهما أخذ الحديث وأجازا له كل مروياته ومصنفاته، كما درس على ابن حجر مقامات الحريري تحريراً وبحثاً.

– الحنفى ناصر الدين محمد بن أنس (ت٨٠٩هـ) إمام الحنفية بالمدرسة البيبرسية وأخذ عنه علم الفرائض.

– ابن الصائغ زين الدين عبد الرحمن بن يوسف (ت٨٤٥هـ) الخطاط المعروف يومذاك، صاحب رسالة فى صناعة الخط وعليه تدرب في حسن الخط، وأتقن على يديه الخط المنسوب [١].

☚ *مهنته وتلاميذه*:

اتجه الشهاب الحجازى فى مطالع شبابه إلى التصوف حيث نزل الخانقاه السعيدية[٢] ثم البيبرسية، ولبس الخرقة الصوفية من الشهاب بن الناصح[٣]،

١– ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – شمس الدين السخاوى ١٤٧/٢ مكبة القدس القاهرة والخط المنسوب: المستقيم الواضح وقيل الدقيق.

٢– الخانقاه: مكان للعبادة يقضي فيه المتصوفة كل أوقاتهم وتنفق الدولة عليهم فى أثناء إقامتهم بهذه الأماكن، والخانقاه السعيدية بناها بيبرس وأسماها السعيدية نسبة إلى ولده السعيد محمد بركة – خطط المقريزى ٣٠٠/٢.

٣– ابن الناصح: أحمد بن محمد المصرى الصوفى، كان للناس فيه اعتقاد، طاف البلاد حتى استقر أخيراً فى القرافة، وكان للسلطان برقوق فيه اعتقاد كبير، فكان يصحبه في أسفاره إلى الديار الشامية توفي سنة ١٤٠١/٨٠٤ (الضوء اللمع – السخاوى ٢٠٤/٢).

واتصل بالأبناسى الصوفي صاحب الزاوية الأبناسية، وحفظ على يديه الأذكار الصوفية، إذن فقد كان الشهاب الحجازى مقرئاً ومحدثاً، لطلبة الخانقاه السعيدية والبيبرسية وماهراً فى الخط والموسيقي، تنزل فى صوفية السعيدية والبيبرسية وصار أحد القراء بهما، وحدث بالبخارى وغيره مراراً، وكتب بخطه كثيراً لنفسه ولغيره ولكنه على ما يبدو من سيرته انقطع فيما بعد عن الصوفيين وترك التصوف وتوفر على الأدب حتى عرف بذلك.

وقد أخذ عنه وتتلمذ عليه جماعة من الفضلاء منهم:

- ابن عربشاه: أحمد بن محمد بن عبد الله الدمقشي (ت ٨٥٤هـ)
- ابن تغري بردى: جمال الدين أبو المحاسن (ت٨٧٤هـ)
- السخاوى: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٨٧٤هـ)

وغيرهم كثير من أصحاب التصانيف والمرويات.

صفاته وأخلاقه:

أجمعت كل المصادر التى ترجمت للشهاب الحجازى على أنه كان كثير المحاسن ظريفاً، لطيف الذات خيراً مديماً للتلاوة والكتابة، حسن المحاضرة والمجالسة والعشرة طارحاً للتكلف كثير التودد لأصحابه، والذكر لمحاسنهم، والأسف على من يفقده منهم، سريع العبرة "الدمعة" ظريف النادرة حلو الكلام، سريع الجواب، كثير المحامد مشهوراً بخفة الروح، بديع النظم والنثر[1].

وقد ترتب على تلك الصفات الحميدة والسجايا الفاضلة، والأخلاق الكريمة، وهذا العلم الغزير عنده؛ ازدياد صداقاته، وكثرة صلاته برجالات عصره، وحب أقرانه ومعاصريه له و وثناؤهم عليه بما هو جدير به.

وكان الشهاب الحجازى متقدماً في سرعة الحفظ إلى أن تعاطى حب

١- الضوء اللامع ١/١٤٨.

البلاذر[1] وأكثر منه بحيث كانت سلامته على غير القياس.

قال: (ومن ثم صرت لا أحفظ إلا بتكلف زائد، وأعقبنى ذلك فى السنة المستقبلة حرارة خرج من بدنى منها أزيد من مائة دُمل واحمرت، واستمرت الدماميل تعترينى كل قليل، بل انقطعت عن القراءة بسبب تعاطيه مدة)[2]

فساءت صحته بسبب الإدمان، ولعل إدمانه على البلاذر، وما ظهر عنه من دماميل كان سبباً فى مخالعة زوجه له – وكان اسمها – رحمة – وفي ذلك يقول:

اختلعت رحمة فبسطى زال، وأولادها بغمـــــه

فردّها ربنـــا إلينـــــا "وهب لنا من لدنك رحمة "[3]

☚ ***تصانيفه "مؤلفاته":***

أسهم الشهاب الحجازى في مجالات المعرفة المختلفة بعدد غير قليل من الكتب والمصنفات، ضاع منها الكثير مع ما ضاع من كتب تراثنا العربي، وذكرت الباقية متفرقة في بطون كتب التراجم، ومن هذه المؤلفات:

– أجوبة اعتراضات ابن الخشاب على الحريري (مفقود).

١– البلاذر: نبات له ثمر شبيه بنوى التمر، ولبه مثل لب الجوز حلو، وقشره متخلخل متثقب، وهو معرب بلادر وأصل معناه بالهندية: الصدقة، وقيل: إن هذا النبات يقوى الحفظ، ولهذا يعرف بحب الفهم، وثمر الفهم ولكن الإكثار منه يؤدى إلى الجنون. ينظر الألفاظ الفارسية والمعربة – آدى شير /٢٥ ط المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ م.

٢– الضوء اللامع ١٤٨/٢.

٣– ديوان الشهاب الحجازى: مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات العربية رقم ١٥٠٤، وأخذ الديوان دراسة وتحقيق في رسالة ماجستير للباحث أحمد خميس أبو زيد كلية الآداب جامعة بني سويف.

واختلعت المرأة: طلقها زوجها على بذل منهل، والشطر الثانى من البيت اقتباس من سورة آل عمران آية ٨.

– أسنى الوسائل فيما حسن من المسائل "مجموعة مختارات" (خط).
– التذكرة (تذكرة الشهاب الحجازى) (خط)وبلغت أكثر من خمسين مجلدة[١].
– تخميس بردة البوصيري (مفقود).
– جنة الولدان فى الحسان من الغلمان (مطبوع) فى القاهرة – مطبعة السعادة – عام ١٩٠٨، وطبع بتحقيق رحاب المكاوى – بيروت – دار الحرف العربى ١٩٩٨، جمع فيه مقطوعات شعرية قيلت فى الغلمان ورتبها على حروف المعجم.
– ديوان شعره ويسمى "اللمع الشهابية فى البروج الحجازية" وهو ديوان شعر كبير[٢]، جمع فيه شعره ونظمه، واستدرك عليه بعد طلبته ما فاته إثباته، مرتباً على حروف المعجم[٣] وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأسكوريال بمدريد[٤].
– قلائد النحور من جواهر البحور: وهو ديوان شعر مرتب على السبعة فنون المعروفة جمع فيه الشهاب ما استخرجه من القرآن الكريم متفقاً مع الشعر العربي فى أوزان عروضه، ثم بنى على كل آية بيتين من الشعر على سبيل الاقتباس، وأهداه إلى أستاذه ابن حجر العسقلانى[٥] وهو كراسة يورد نصها ابن تغري بردى فى المنهل الصافي ٢٠٩/١٩٣/٢ ويجد الناظر فى هذا النص عدداً من فنون الشعر غير المعربة كالمواليا، والكان وكان، والقوما والدوبيت

١– الضوء اللامع ١٤٨/٢، وقال البغدادى صاحب هدية العارفين هى خمس مجلدات ١٣٣/١.
٢– المنهل الصافى – ابن تغري بردى ١٩٣/٢، وتاريخ الأدب العربي – كارل بروكلمان ٥١/٦.
٣– الضوء اللامع ١٤٨/٢.
٤– تاريخ أداب اللغة العربية جرجى زيدان ١٣٧/٣.
٥– كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون – حاجى خليفة ١٣٥٦/٢ ط دار الفكر.

والموشح، والزجل والقريض وألحق بها فناً ثامناً هو فن الحماق (مطبوع) فى القاهرة في مطبعة السعادة عام ١٩٠٨.

– الدرر المنظومة فى النكت المفهومة، وقد جمع فيه الشهاب الحجازى ما وجده فى شرح أبي الخير بن سلامة الأنباري ومن نكت أدبية وبلاغية ونظمها شعراً (مفقود).

– روض الآداب وهو مجموعة أدبية تضم مختارات شعرية من المقاطيع والمطولات والنثريات والموشحات، وما استغرب من الحكايات، ورتب على خمسة أبواب: الأول في المطولات، والثانى فى الموشحات، والثالث فى المقاطيع، والرابع فى النثريات، والخامس فى الحكايات، ويصفه جرجى زيدان فيقول: (رتبه على أبواب فى المطولات والموشحات والأزجال والمقاطيع والنثريات والحكايات، ورتب كل باب على الحروف الأبجدية باعتبار القافية، ومنه نسخ فى أشهر مكتبات أوربا، ودار الكتب المصرية، وطبع فى بومباى سنة ١٨٨١م [١]، وقد حققه عبد الباسط لبيب عابدين ونال به درجة الماجستير من جامعة أسيوط.

– شرح مقامات الحريرى (مفقود)

– الكنس الجوارى فى الحسان من الجوارى: وهو رسالة جمع فيها ما قيل فى الجوارى من مقاطيع شعرية، رتبها حسب حروف المعجم (مطبوع).

– كتاب فى الحمقى والمغفلين (مفقود)

– مجموعة الشهاب الحجازى (خط)

١– تاريخ آداب اللغة العربية ١٣٢/٣.

– مختصر شرح المقامات: اختصر فيه شرح الشريشي[1] لمقامات الحريرى (مفقود).
– مصنف أدعية يدعى بها عقب قراءة الختمات بحسب الوقائع والمقامات (مفقود)
– النيل الرائد فى النيل الزائد: وهو كتاب علمى به جدول فى زيادة منسوب مياة النيل حتى عام ٨٤٤هـ (خط)[2].
– الوعد الوفي فى اللطف الخفي، وهو كتاب فى الأحاجى والألغاز (خط)
– المسهب في أخبار المغرب.
– نديم الكئيب وحبيب الحبيب: وهو كتاب يشتمل على مقاطع شعرية رتبها المؤلف على حروف المعجم.
– المفاخرة بين السماء والأرض (خط)
ولم يطبع من هذه المؤلفات إلا كتاب "روض الآداب" – كما سبق – وكتاب آخر ضم ثلاثة مؤلفات هى: " جنة الولدان "، " والكنس الجوارى "وقلائد النحور" طبعت فى القاهرة بمطابع السعادة سنة ١٣٢٦هـ – ١٩٠٨م.

☚ *مكانته بين العلماء*:

تبوأ الشهاب الحجازى مكانه كبيرة ومنزلة سامية بعلمه وتصانيفه بين العلماء حتى أثنوا عليه، واعترفوا بفضله فلم ينكروه وكثيراً ما يقترن اسمه عند من ترجموا له بالثناء عليه وإبراز حسن أخلاقه، ووصفهم إياه بما هو أهل له من العلم والفضل.
– قال عنه ابن تغرى بردى فى المنهل الصافي: (العالم العلامة البارع المفنن الشاعر المشهور)[3].

١– أحمد بن عبد المؤمن بن موسي الشريشي النحوى اللغوى، كان أماماً فى النحو واللغة توفي سنة ٦١٩هـ (المنهل الصافى ٣٧٤/٣).
٢– تاريخ آداب اللغة العربية – جرجى زيدان ١٣٣/٣.
٣– المنهل الصافي – ابن تغري بردى ١٩٠/٢ تحقيق محمد محمد أمين – ط الهيئة العامة للكتاب.

– نوه الكمال الدميري بنجابته وقوة ذكائه وحافظته[١].

– ووصفه ابن حجر العسقلانى فقال: (الشيخ الفاضل العلامة، فخر المدرسين عمدة البلغاء)[٢].

– وقال عنه السيوطى: (عنى بالأدب كثيراً – إلى أن تقدم فيه – وصار أحد أعيانه[٣] وقال عنه وهو يترجم له: (الفاضل الأديب الشاعر البارع).

– أما ابن العماد الحنبلى فقال عنه: (عنى بالأدب كثيراً حتى صار أوحد أهل زمانه.... وتميز فى فنون لكنه هجر ماعدا الأدب منها)[٤]

☚ *شعره*:

يعد الشهاب الحجازى من أشهر الشعراء المملوكيين الذين عاشوا في النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى، ذلك أنه ما كاد ينتصف هذا القرن أو يزيد عن النصف قليلاً، حتى قضي أغلب الشعراء المعروفين، ولم يبق إلا عدد منهم يقف على رأسهم أربعة نفر هم:

الشهاب الحجازى، والشهاب ابن الهائم المنصورى، والشهاب ابن صالح الأشليمى، والشمس القادرى ،وكان الحجازى أشهر هؤلاء الأربعة[٥] .

وشعره تمتزج فيه المتانة من معارضة الشعراء الفحول وتقليدهم بالرصانة، ويغلب عليه أحياناً التكلف لا سيما فى طلب التورية، وقد مدح كثيراً من أعيان مصر، ولكنه كان أكثر وفاءً فى رثائهم فهو لا ينسي فضلهم وصداقتهم

١– الضوء اللامع ١٤٨/٢.

٢– السابق ١٤٨/٢.

٣– حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ٢٤٦/١ ط المطبعة الشرفية – حسين شرف.

٤– شذرات الذهب ٣١٩/٧.

٥– ينظر حسن المحاضرة ٢٤٧/١.

وصحبتهم ومن قصائده الطويلة فى الرثاء قصيدته التى رثي بها الحافظ (ابن حجر العسقلانى) ومطلعها:

كل البريـــة للمنيـــة صائـــره وقفولهـا شيئـاً فشيـاً سائـره

ومنها:

والنفس إن رضيت بذا ربحت وإن لم ترض كانت عند ذلك خـاسره
وأنا الذى راض بأحكـام مضـــت عن ربنا البر المهيمن صـادره
لكن سئمت العيش من بعـد الذى قد خلف الأفكـــار منا حائـــره
هو شيخ الإســلام المعظم قــدره من كان أوحد عصــره والنادره
قاضى القضـاة العسقـــلانى الذى لم ترفع الدنيا خصيمـــاً ناظره
وشهاب ديـن الله ذى الفضل الذى أربى على عدد النجوم مكـاثره[1]

ومن شعره قصيدة يعارض فيها نونية ابن زيدون التى مطلعها:

أضحـى التنـــائى بديلاً من تدانينا ونـاب عن طيب لقيانـــا تجا فينا

ومطلعها:

ملكت فاحكـم مهمـــا تشـــا فينا ها أنت ممرضنا ها أنت شافينا

ومنها:

لسنا نؤمـل منك شيئاً غير رضي وقربنا منـــك يا أقصي أمانينـا
حاشـاك يا غايـــة الآمـال تبعدنا فما من البـر إبعـــاد المحبينا

....

لا يعرف الحـــب هجرانا ولا مللاً ونحن لا يعرف السلـوان نادينا
رأيت حســدنا تشكـو الزمان فما يزال يغضبهم قهراً ويـــرضينا
نمسي ونصبح فى ظل الوصال وقد أضحى التدانى بديلاً عن تنائيناً[2]

١- السابق ١/١٥٤.

٢- المنهل الصافى ٢/٢٠٤.

ومن نظم الحجازى قوله:

قالـوا إذا لم يخلـف ميـت ذكـراً ... ينسي فقلت لهم فى بعض أشعارى
بعد الممات أصيحابي ستذكـرنى ... بمـا أخـلف من أولاد أفكـارى

وقوله: **يا من غدا من الذنوب في خجل ... وخائفاً من الخطايا والـزلل**
ارحم جميع الخلق وارج رحمة ... فإنما الجزاء من جنس العمل[1]

وله موشح عارض به ابن سناء الملك، كما أن له أزجال كثيرة [2].

وفاته:

بعد حياة حافلة عاشها الشهاب الحجازى زاخرة بالعلم والأدب وحسن الخلق والعشرة والمحاسن الوافرة، ساءت صحته (بسبب الإدمان)[3] ووافته المنية يوم الأربعاء السابع من شهر رمضان سنة خمس وسبعين وثمانمائة (٨٧٥هـ) بالقاهرة، ودفن بتربة تجاه الناصرية [4]، وكثر التأسف على فقده، وقال الشهاب المنصورى [5] يرثيه:

لهف قلبي على أفول الشهـاب ... تحفة القوم نزهة الأصحـاب
كان فى مطلع البلاغة يسـري ... فتوارى من الثرى بحجـاب
هطلت أدمع السحاب عليـه ... وقليل فيه دمـوع السحـاب
وذوو الجمع أصبحوا حين ولى ... كلهم جامعـاً بلا محـراب
ربع بلواى آهل منذ أخلـى ... كتبى مـن سـؤاله والجواب
يا شهاباً طلوعه في سما الفضـ ... ـل ولكنه أفولـه فى التـراب
لك فيما ألفـت تذكـرة من ... ما انتقى دره أولـو الألبـاب
روضـة أينعـت بفاكهة من ... حسن لفظ كثيـرة وشـراب
فسقـى تربهـا الرباب لتهـ ... تز وتربو على سماع الربـاب
ورأى كسـره فقابلـه اللـ ... ـه تعالى بالجبر يوم الحساب[6]

١- الضوء اللامع ١٤٩/٢.
٢- المنهل الصافى ٢٠٠/٢ وما بعدها.
٣- تاريخ الأدب العربي – بروكلمان ٥١/٦.
٤- الضوء اللامع ١٤٨/٢، والناصرية: مدرسة تنسب إلى الناصر محمد بن قلاوون وتعرف بجامع الناصر..... خطط المقريزى ٣٨١/٢.
٥- الشهاب المنصورى: أبو العباس أحمد بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الدائم السلمى ولد فى ٧٩٩هـ وتوفي ٨٨٧هـ (حسن المحاضرة ٢٤٧/١).
٦- حسن المحاضرة ٢٤٧/١.

الفصل الثالث
القصيدة الميمية

الميمية قصيدة فى مدح الرسول @ نظمها فى سنة ٨٤٥هـ ويبدو أنه حج فى هذا العام.

والمدائح النبوية فن من فنون الشعر ولون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية، وباب من أبواب الأدب الرفيع لأنها صدرت عن قلوب مفعمة بالحب الصادق، والإخلاص المكين، (ويكاد المديح النبوى منذ بداية القرن السابع يكون موضوعاً لا يتخلف عنه شاعر من مصر، فمنهم المقل، ومنهم المكثر، ومنهم من كانوا يفردون له دواوين كاملة، وأعان على ذلك الفكر الصوفى والقبول العظيم التى لقيته الطرق الصوفية) [١].

وللشهاب الحجازى غير الميمية – قصيدتان فى مدح الرسول @، إحداهما دالية تقع فى عشرة أبيات، تقرأ على أوجه كثيرة بعدة قوافى، وهى من الغرر كما قال ابن تغرى بردى [٢] .

محمد. وجهه بالنور ملتمـــــع ... بدر أضا. فاق بدر التم حيـــن بـــدا
مشرف. شرفت فى الناس أمتـــه ... له اللوا. حل عقد الكفر مـــذ عقـــدا
مؤيد. دينه الإســـــلام متبـــع ... حكماً مضى. سيفه نار الوغـــى وقدا
معـــرف. ولســـان الحـق ينعتـه ... وكم حوى. لم يشاهد مثله أبـــــدا
ممجد. كفه رحـــــب ومتســـع ... حقاً قضى. لم يخب من فضله قصـــدا
مصـرف. رأيه زانـته حكمتـــه ... وهو الدوا. كم شفي من دائـــه جسدا
مســدد. بقليـــل الـــزاد مقتنع ... هو الرضا. شاكراً لله قـــد حمـــدا
مهفهف. تخجل الأغصان خطرته ... إذا استوى. فاق حسناً قام أو قعـــدا
ممهد. فيه كل الخيـــر مجتمـــع ... والمرتضى. وهو خير الرسل والشهدا
مؤلف. عظمـت فى الخلق همته ... سهم القوى. قاتل من دينـه جحـدا [٣]

١- المدائح النبوية / محمود على مكى صـ ١٠٦، الشركة المصرية العالمية للطبع والنشر لونج مان ١٩٩١ ط دار نوبار للطباعة – القاهرة.

٢- المنهل الصافي ٢٠٣/٢.

٣- المنهل الصافى فى ٢٠٤/٢

والقصيدة الأخري عينية تتألف من اثنين وخمسين بيتاً نظمها فى سنة ٨٤٨هـ ومطلعها:

تبسم عن در من الثغر يلمع أرانى النجوم الزهر من أين تطلع [١]

أما الميمية فتقترب من خمسين بيتاً وهى كالآتى:

وحياة الشوق ومن لهم صب بهم ما ملهم[٢]
لا حلت عن الميثاق ولو بانوا وعلى هجرى عزموا[٣]
عرب سكنوا قلبي زمنا وأصاروا القلب خباً لهم[٤]
ولقد رحلوا بالقلب ولا عجب أن قوضت الخيم
قد هب نسيم عرفنى عرفاً لهم فعرفتهم[٥]
وتألق برق أرقنى وأنارت لى منه الظلم
فالأبرق منه البرق ندى ولكاظمة كم يبتسم[٦]
فوحق حقيق دموعى لا بالجزع جزعت وفيه هم[٧]
فهم عرب لا يشبههم في عالى مجدهم العجم

(٢)

وأنا رجل قد شوقنى للحج الكعبة والحرم
وكذا حجر وكذا حجر والركن كذا والملتزم
وكذلك منى والخيف معاً وكذاك المشعر والعلم[٨]
وكذا الجمرات إذا رميت وكذاك الموقف والأمم
طوبي لأناس قد شهدوا تلك الآثار وما حرموا
وليهن عريبا قد سكنوا فى تلك الأرض لقد غنموا

١- ديوانه /٤٩
٢- الصب: العاشق والمشتاق، والأنثي: صبة، لسان العرب ٢٣٨٧/٤ ط دار المعارف.
٣- بانوا: بعدوا.
٤- خبا: خباء من الأبنية.
٥- **العرف: الرائحة الطيبة.**
٦- الأبرق وكاظمة: أسماء مواضع، وقيل كاظمة هى المدينة المنورة .
٧- العقيق: حجر كريم أحمر اللون وقيل موضع والجزع: أن تقطع وادياً أو مفازة أو موضعاً تقطعه عرضاً.
٨- العلم: الجبل ويعنى به عرفة.

(٣)

عذالى فيهم ما عرفوا ... ومتى عرفوا فهم فهموا
لكنهم وهموا جهلاً ... مالى ولهم وهم وهموا
لبعادهم دهرى ليل ... وكأن الوصل بهم حلم
فى حسنهم يا عاذل لى ... قد بان عماك وبي صمم

(٤)

إنى أهوى من نسبتهم ... برسول الله لها عظم

(٥)

الماحى العاقب أحمد من ... كرمت حقاً منه الشيم
محمد والمزمل والـ ... مدثر زال به العدم
من أعطى خمساً لم يعطا ... هن الرسل اللائى عظموا
الأرضين أضحت مسجده ... وطهوراً فى هذا حكم
والمغنم حل له إذ لم ... يك فى الماضي حلا لهم
والبعث إلى كل طراً ... أهل الآثار بذا جزموا
والنصر برعب سار إلى ... شهر وبذلك قد هزموا
وجوامع كلم قد فاقت ... ألباب الناس وما نظموا

(٦)

وله آيات قد ظهرت ... وتطول وليس بنا سأم
آيات أعظمها القرآ ... ن وكم فيه جاءت حكم
ولكم من معجزاة تركت ... أهل الإشراك لها وهموا
بإشارته قد شق البد ... ر وحسبك إذ هو مبتسم
وبه افتخرت أرض وسما ... بوطاءته لهما عظم
إن داس التراب فلا أثر ... والصخر يغوض به القدم

وعيون الأرض لقد غارت ... من إصبعه وكذا الديم[1]
قد فاض الما فيها نهراً ... فتروى الجيش وهم أمم
والبحر لعجز فى قلق ... وبفضل الراحة يلتطم
والسحب غدت تبكى لندى ... بأكف سحت منها النعم
ولفارس نار قد خمدت ... لولادته وذكى الضرم
وتصدع إيوان لهم ... وبقي زمناً ما به ثلم
وبحيرة ساوة قد غاضت ... فيها الأمواه وقد علموا
وأتاه الوحى بغار حرا ... ء وقيل: اقرأ وأعد لهم

(٧)

يا أشجع خلق الله ومن ... قويت بشجاعته الهمم
يا أكرم من قد جاد ومن ... يغنى الفقراء إذا عدموا
يا سيد رسل الله ومن ... رسل الخلاق به ختموا
يا أعظم بل يا أشرف من ... شرفت بنبوته أمم
يا سيد أهل الأرض ومن ... سادت من خدمته الخدم
اشفع فى أحمد ناظمها ... عبد بمديحك يحترم[2]

(٨)

وعليك صلاة الله بها ... يبدا فى الكون ويختتم

فهذا نص القصيدة، سقته كاملاً، ويمكن توزيع النص على ثمانية فصول حسب الأفكار الموجودة فى القصيدة :

(أ) الأول وفكرته (فى الغزل وشكوى الغرام)

١- الديم: السحب.

٢- أحمد: يعنى نفسه فهو أحمد بن محمد شهاب الدين الحجازى ناظم القصيدة.

يستهل الشهاب الحجازى ميميته بمقدمة غزلية صناعية تقليدية يصور فيها نار العشق ولهيبه وجحيم الحرمان وآلامه، واصفاً ليالى العاشق الطويلة ومكابدته من هجر الحبيب وهى الأبيات من ١-٩.

وحياة الشــوق ومن لهــم صب بهم ما ملــهــــم

....

فهم عـــرب لا يشبههـــم في عالى مجدهم العجم

وفى هذه الأبيات التى تذوب حباً وهياماً، وتقطر رقه وعذوبة احتشم الشاعر وتأدب، وطرح ذكر محاسن المرأة والتغزل فى ثقل الردف ودقة الخصر، وبياض الساق، وحمرة الخد وما أشبه ذلك، والتزم ما نص عليه العلماء بشأن الغزل الذى يصدر به المديح النبوى.

وربما كانت هذه المقدمة الغزلية – وهو الأرجح – تعبيراً رمزياً عن حبه للرسول @.

ونلاحظ أن الشاعر فى هذه الأبيات يردد أسماء مواضع حجازية ونجدية مثل الأبرق، والعقيق وكاظمة وذلك على النحو الذى أشاعه فى الشعر العربى الشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ) ومهيار الديلمى (ت ٤٢٨هـ) كما نلاحظ كذلك المجانسة والمطابقة فى هذه الأبيات مثل (عرّف – عرف – عرفت) و (الأبرق – البرق – أرق) و (أنار – الظلم) و (كاظمة – يبتسم) و (العرب – العجم).

(ب) الفصل الثانى وفكرته (الشوق إلى المشاعر والأماكن المقدسة)

وهى الأبيات من ١٠ – ١٥

وأنا رجل قد شوقــنى للحج الكعبــة والحــرم

....

وليهن عريبا قد سكنوا فى تلك الأرض لقد غنموا

وفيها يصف الشاعر شوقه إلى زيارة بيت الله الحرام والأماكن المقدسة، وفى الأبيات يذكر بعض مناسك الحج مردداً أسماء المواضع المقدسة كالحرم، والكعبة، والحجر، والحجر الأسود، والركن ومنى والخيف والمشعر الحرام.... الخ

(ج) الفصل الثالث وفكرته (التحذير واللوم للعذال)

وهى الأبيات من ١٦ – ١٩

عذالى فيهم ما عـــرفوا ومتى عرفوا فهم فهموا

....

فى حسنهم يا عــاذل لى قد بان عماك وبي صمم

وفيها يصور الشاعر جمال الحبيب الفتان وهيام المحب به وعدم اكتراثه بأقوال العذال والوشاة الذين يعذلونه فى حبهم جهلاً ووهماً.

(د) الفصل الرابع

وهو البيت العشرين

إنى أهوى من نسبتهم برسول الله لها عظم

وفيه يتخلص الشاعر من الغزل إلى الغرض الأساسي وهو المدح النبوى فى براعة شديدة.

(هـ) الفصل الخامس وفكرته (المنح والعطايا الربانية)

وهى الأبيات من ٢١ – ٢٨

الماحى العاقب أحمد من كرمت حقاً منه الشيــم

....

وجوامع كلم قد فاقــت ألباب الناس وما نظموا

وفيها يدخل الشاعر إلى الغرض الرئيسي، وهو مدح الرسول @ فيذكر بعض أسمائه @ [1] فهو الماحى الذى يمحى الله به الكفر، وهو العاقب الذى لا نبى بعده، وهو أحمد﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[2]، وهو محمد ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[3] وهو المزمل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا ﴾ [4].
وهو المدثر ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِر ﴾[5]

ويعدد فضائل النبي @ ويعقد[6] حديثاً نبوياً فأكسب الأبيات سناء وضياء، فالرسول @ أحلت له الغنائم ولم تحل لأحد من الأنبياء قبله، وجعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً وأرسله الله تعالى إلى الإنس والجن كافة، وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، ونصره الله على العدو بالرعب ولو كان بينه وبينهم مسيرة شهر، وآتاه الله جوامع الكلم.

(و) الفصل السادس وفكرته (معجزات النبي @)

وهى الأبيات من ٢٩ – ٤٢

وله آيات قد ظهـــرت وتطول وليس بنا سـأم

١– ألف السيوطى رسالة سماها (البهجة السنية فى الأسماء النبوية) وقد قاربت الخمسمائة، والقاعدة أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى.
٢– سورة الصف – آية ٦.
٣– سورة آل عمران – آية ١٤٤.
٤– سورة المزمل – آية ١–٢.
٥– سورة المدثر – آية ١–٢.
٦– العقد: أن يعمد الشاعر إلى شيء من كلام الله، أو كلام رسوله، أو السلف الصالح فينظمه بلفظه ومعناه، أو معظم اللفظ فيزيد فيه وينقص منه ليدخل فى وزن الشعر.

....

وأتاه الوحى بغار حرا ء وقيل: اقرأ وأعد لهم

وفيها يذكر الشاعر بعض ما تناقلته كتب السيرة عن معجزات الرسول @، وما ظهر على يديه من خوارق العادات فقد جرت سنة الله –تعالى– بأن يظهر على أيدى أنبيائه من المعجزات ما يثبت به القلوب القلقة، ويطمئن به النفوس الحائرة ويزيد المؤمنين إيماناً وتثبيتاً.

ومعجزة الرسول @ الكبري تتمثل فى الكلمة، فى ذلك الكتاب الذى أنزل عليه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الذى تحدى به أهل عصره وهم حينئذ أهل اللسن والفصاحة.

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١).

فضلاً عن أن معجزة كل نبي قد تصرمت وانقضت، ومعجزة سيد الأولين والآخرين – وهى القرآن الكريم باقية إلى يوم الدين.

ومن معجزاته @ كذلك، انشقاق القمر، لما سأله أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين.

ومنها تفجير الماء بين أصابعه الشريفة @ التى هى أبلغ من انفجار الماء من الأحجار لموسي عليه السلام، وذلك لأن جنس الحجارة مما يتفجر منه الماء.

ومن المعجزات الكونية التى صاحبت ميلاد المصطفي @ خمود نار فارس، وتصدع شرفات إيوان كسرى، وجفاف بحيرة ساوة، ونزول جبريل عليه فى غار حراء.

وهذه المعجزات المذكورة ليست مما يستحيل وقوعه للنبي @، وهى ليست شيئاً كبيراً بالقياس إلى ما وهبه الله من صفات وشمائل لنبيه ومصطفاه، وقد

١– سورة الإسراء – آية ٨٨.

أجمل القرآن الكريم وصفه بكلمات قليلة ولكن فيها جماع للفضائل الإنسانية ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

(ز) الفصل السابع وفكرته (مناجاة وختام)

وهى الأبيات من ٤٣ – ٤٨

يا أشجع خلق الله ومـــن قويت بشجاعته الهمـم

....

اشفع فى أحمـــد ناظمها عبد بمديحـــــك يحترم

وفيها يقدم الشاعر مجموعة من الابتهالات والتوسلات برسول الله @ تتسم بالصدق وحرارة العاطفة حتى يصل إلى الشفاعة فى يوم المشهد العظيم.

ويتوسل الشاعر بأسلوب تعبيري يكاد يكون واحداً إذ تبدأ الأبيات بحرف النداء (يا) ثم صيغة تفضيل (أشجع – أكرم – سيد – أعظم) ثم مضاف إليه، ثم (من) الموصولة وصلتها.

(ح) الفصل الثامن الأخير

وهو البيت الأخير

وعليك صلاة الله بهـــا يبـــدا فى الكون ويختتم

ويختتم الشاعر قصيدته بالصلاة على المبعوث رحمة للعالمين ،خاتم رسل الله، وهكذا جمعت القصيدة بين حسن براعة الاستهلال وحسن براعة التخلص، وحسن الختام.

ولا تزال شخصية النبي " محمد " @ معيناً لا ينضب، ولا ينقطع استلهام الشعراء لشتى جوانبها المضيئة.

١– سورة القلم – آية ٤.

الفصل الرابع

الدراسة الفنية

(١) بناء القصيدة الفنى

وقف نقاد العرب طويلاً عند نظام القصيدة الهندسي وبنائها الفنى ورصدوه من قديم وقالوا إن القصيدة مقسمة فى أذهان الشعراء إلى أجزاء ثلاثة فى الكثير الغالب هى: المطلع أو المقدمة، ثم الغرض الذى يقصد إليه الشاعر للخوض فيه، ثم الخاتمة أو القفل، والشاعر المجيد فى نظر النقاد من يعدل بين هذه الأقسام من غير إطالة تبعث الملل إلى السامع، أو تقصير تود النفس معه الإطالة.

والواضح من مطالعة القصيدة موضوع الدراسة أن شاعرنا نهج منهج الأوائل فلم يختلف عنده بناء القصيدة فلقد جعل لها الشاعر مقدمة، وموضوعاً أو غرضاً فنياً ثم جعل لها خاتمة.

أولاً: المقدمة

وتشمل الأبيات ١ – ٩ وقد استهلها الشاعر بقوله:

وحياة الشوق ومن لهم صب بهم ما ملهم

فجعل الشاعر الشوق والصبابة مفتاحاً لقصيدته على طريقة المقدمة الغزلية التى تبعث مشاعر الحنين فى النفوس وأتبعها الشاعر بألفاظ تناسبها مثل (الميثاق – بانوا – هجري – رحلوا بالقلب – هب نسيم – أرقنى – عقيق دموعى –.....) بما يوحى بتغلب العاطفة على الشاعر فى معالجة موضوع قصيدته كما وظف الشهاب الحجازى التصريع فى استهلال قصيدته فأضفى نغماً موسيقياً على مطلعه، والتصريع محمود فى المطالع.

والناظر إلى الطابع الغزلى فى مقدمة القصيدة، يجده ليس طابعاً غزلياً يوحى بالسرور وإنما يوحى بالحزن والمأساوية بما توحيه كلمات (بانوا – قوضت الخيم – دموعى – جزعت) كما يميل إلى الرمزية التى تتمتع بها الروح الصوفية فى كل زمان، وبذلك يشتد الربط بين ما احتوت عليه المقدمة ذات الطابع الغزلى الظاهر، والرمزى الصوفى وبين ما يأتى من موضوع القصيدة أو الغرض الأصلى لها وهو مديح النبي @.

ثانياً: الموضوع "الغرض"

ويشمل الأبيات من ١٠ – ٤٦، وهو مناط التجربة الشعرية التى تمخض عنها عقل الشاعر وهو أطول أجزاء القصيدة الثلاثة.

وفيه تخلص الشاعر من المقدمة بلطف وشرع فى ذكر المناسك والمشاعر المقدسة وجعلها مدخلاً لمديح النبي @.

فقد بدأ بالحديث عن شوقه لحج البيت وفصل ما فيه من مشاعر كالحجر، والحجر الأسود، والركن والملتزم ومنى والمشعر الحرام ثم دعا لمن يسكنون هذه الأماكن متنعمين برؤية هذه المشاعر المقدسة، ثم تحول إلى مديح النبي @ ذاكراً عدة أسماء له (الماحى – العاقب – أحمد – محمد – المزمل – المدثر) ثم انتقل إلى الحديث عن معجزاته التى اختص بها وحده والتى ذكرها النبي @ فى حديثه (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي.....) الحديث.

وتحدث عن إرهاصات نبوته والتبشير لمولده الشريف بعدما فصل الحديث فى معجزاته والتى جعل أعظمها القرآن ثم معجزة انشقاق القمر له وتفجير الماء من بين أصابعه الشريفة @ ثم – خمود نار الفرس، وتصدع إيوان كسرى وغاضت بحيرة ساوة، وهو فى هذا متأثر تمام التأثر بشيخ المادحين قبله "

الإمام البوصيري " إذ إن الأبيات فى بردة البوصيرى تكاد تكون بنفس الترتيب إذ يقول البوصيري:

يوم تفرس فيه الفرس أنهم ... قد أنذروا بحلول البؤس والسقم
وبات إيوان كسري وهو منصدع ... كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسف ... عليه والنهر ساهى العين من سدم
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ... ورد واردها بالغيظ حين ظمى
كأن بالنار ما بالماء من بلل ... حزناً بالماء ما بالنار من ضرم[1]

ثم يكمل باقى معجزاته @، ثم يأخذ مرة أخرى فى المديح فى عدة أبيات بدأ جميعها بنداء المضاف – يا أشجع خلق الله – يا أكرم من قد جاد – يا سيد رسل الله – يا سيد أهل الأرض، ليجعل ذلك شفاعة له قبل أن يأتى بالمقطع الأخير ويطلب سؤله ويقول اشفع فى أحمد ناظمها.

هذه الوحدات السابقة جميعها تجعل القصيدة متعددة الموضوعات والأفكار، تحفل بتنوع المعانى بيد أنها تسير فى خط واحد وتدور فى فلك لا يتغير وهو إبراز جوانب من حياته وسيرته الشريفة @ ومعجزاته الخالدة وعلامات نبوته.

ثالثاً: المقطع

وعنه يقول ابن شيق فى العمدة (إنه قاعدة القصيدة وآخر ما يبقي منها فى الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً لا يمكن الزيادة عليه، ولا يأتى بعده أحسن منه) وأحسن أنواع المقاطع، ما أوحى إلى السامع بانتهاء الكلام ويسمى ذلك براعة المقطع.

١- البردة بشرح شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري ص ١٤ ط مكتبة الآداب – القاهرة.

وقد شغل المقطع فى هذه القصيدة بيتين فقط سأل النبي @ فى البيت الأول الشفاعة فى ناظم القصيدة فى مديحه "يعنى نفسه" ثم ختم بالبيت الأخير بالصلاة عليه @ صلاة دائمة من بداية الكون إلى نهايته فقال:

اشفع فى أحمد ناظمها عبد بمديحك يحتـــــرم
وعليك صلاة الله بهـــا يبدا فى الكون ويختتـم

✷ وأخيراً نجمل بعض ما ارتضاه الشاعر منهجاً له فى قصيدته ومن ذلك:

١- أن الشاعر قد قسم أفكار قصيدته إلى عدة أفكار تختلف فيما بينها من حيث الحجم والكم وأتبع بعضها بعضا بطريقة السرد القصصي الساذج فصار كأنه قاص لا شاعر.

٢- تبدو القصيدة فى بعض مقاطعها كأنها أبيات من النظم العلمى الذى يجمل فيه ناظموه بعض القواعد كألفية ابن مالك فى النحو وأرجوزة فلان فى التجويد، وغير ذلك بما يوحى بتعليم الناشئة واستخدم لذلك بحر خفيف تفعيلاته قصيرة وهو بحر المتدارك .

٣- تأثره كثيراً فى أفكار قصيدته بسابقه من المادحين كالبوصيري وابن مفلح وغيرهما فدار فى فلكهم وربما ردد نفس ما قالوه لا سيما فى حديثه عن مبشرات ميلاد النبي @، فهل هذا من قبيل التأثر، أو أن الأفكار عنده وعند سابقيه لا تنقطع بينهما الصلة لأنها تنبع من منبع واحد وهو مدح النبي @ وذكر بعض المعجزات الثابتة فى سيرته ؟

٤- لم يكثر من التضمين فى قصيدته – على طريقة القدماء – فجعل كل بيت مستقل بمعناه كأنه وحدة مستقلة بذاتها وذلك عند دعاة الوحدة العضوية

ليس بالشيء الحسن لأن ذلك من وجهة نظرهم لا يسهم فى ترابط أبيات القصيدة ولا تماسكها بيد أنه محمود عند غيرهم.

٥- تأثر الشاعر في قصيدته بالقرآن الكريم فى عدة مواضع وكذلك بالحديث الشريف بطرق مختلفة فى الاقتباس.

٦- في سرد الشاعر لمعجزات النبي @ لم يلتزم بالجانب التاريخى أو الترتيب الزمنى فتراه يذكر المعجزات التى حدثت للنبي @ قبل الإرهاصات بمولده الشريف فيذكر القرآن وانشقاق القمر له، وتفجير الماء قبل خمود نار الفرس وتصدع إيوان كسري وغيض بحيرة ساوة.... الخ.

التصوير الفنى فى القصيدة

الشعر الجيد تقف من ورائه صنعة فنية جيدة تبرز أفكاره ومعانيه فى صورة تطرب لها النفوس ويهتز لها الوجدان، ومفردات هذه الصنعة الفنية أدوات ووسائل تسهم فى تشكيلها وتلوينها بصورة تروع وتعجب هذه المفردات هى: الألفاظ والأساليب "التراكيب"، والصورة الخيالية والمحسنات البديعية والموسيقي.

(أ) الألفاظ والأساليب:

الألفاظ والأساليب قوالب تصب فيها التجربة الشعرية، وهى الأساس الذى يحمله الشاعر خلال الصياغة الشعرية العديد من الصور والأخيلة والمحسنات البديعية وغير ذلك مما يشف عن ثقافته وأفكاره وعواطفه.

والناظر إلى ألفاظ وأساليب الشهاب الحجازى فى قصيدته هذه يجدها – بوجه عام – قريبة المأخذ سهلة التناول واضحة لا صعوبة فيها ولا غرابة، كما تميل إلى القصد المباشر فى المعنى لا تميل إلى الإغراق فى التفاصيل أو الإيحاءات غير الواضحة.

وقد استقي الشاعر معجمه الشعرى فى القصيدة من القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف وسيرة النبي @ وبعض أحداث التاريخ المتمثلة فى موروثه الثقافى واللغوى وتميزت ألفاظه وأساليبه – كما سبق – بـ:

– السهولة والألفة بحيث لا نحتاج معها إلى مراجعة المعاجم اللهم إلا بغرض الاستزادة وبيان المقاصد اللغوية.

– مجاراتها لمقاييس الفصاحة اللغوية حيث جاءت جارية على نهج العرب الفصحاء فى قواعد النحو والصرف والاشتقاق والمد والقصر... الخ .

– الدقة وتعنى هنا اختيار الشاعر اللفظ الملائم للمعنى والمشاكل له.

– استخدامه الترادف فى جانب من ألفاظه أحياناً.

– تكراره لبعض الحروف وبعض الكلمات فمن الحروف تكراره لحرف الواو في أول الأبيات لما يقرب من عشرين مرة، وحرف "يا" حوالى سبع مرات، كما كرر بعض الألفاظ ككلمة "كذا" أو "كذاك" حوالى "٤" مرات ومن ثم فالتكرار سمة من سمات معجمه اللفظى.

– مراوحة الشاعر بين استعماله للجمل الاسمية، والجمل الفعلية فى أفكاره المتتالية فى قصيدته، والتراكيب الاسمية تغلب على القصيدة لا سيما فى الجزء الذى سرد فيه المبشرات والإرهاصات بمولده الشريف @؛ وكذلك فى الجزء الأخير الذى مدح فيه الرسول @ وسأله الشفاعة، وهذا يعنى أنه يؤثر استخدام تراكيب معينة لأداء وظيفة تخدم الفكرة وتعضد التجربة الشعرية عنده، ومن ثم غاير بين هذه التراكيب تبعاً للحاجة إليها.

– استخدم الشاعر كذلك أسلوب التأكيد كثيراً فى قصيدته، فنراه مرة يؤكد بالقسم "وحياة الشوق، فوحق عقيق دموعى " ومرة أخرى يأتى بقد أو لقد مع الفعل

الماضى " ولقد رحلوا – قد فاض الما " ومرة ثالثة يقدم ما يستحق التأخير "وله آيات – ولفارس نار – بإشارته قد شق البدر..... الخ.

– يغلب الأسلوب العلمى فى قصيدة الشهاب على بقية الأساليب وربما رجع ذلك إلى عمله بالتدريس، والمعنى بالأسلوب العلمى هنا ما احتوته القصيدة من مضامين فكرية ذات طابع علمى لا سيما فى سرده للأحداث التاريخية والسير.

(ب) الخيال:

وهو القوة النفسية "أو الملكة" التى تقوم بتصوير الفكرة الأدبية تصويراً أدبياً مؤثراً وفى قصيدة الشهاب الحجازى لم يحل الأسلوب العلمى الذى غلب على الشاعر فى القصيدة دون التجائه إلى التصوير فى التعبير عن أفكاره حين تقتضي التجربة ذلك.

فحين نتأمل على سبيل المثال – هذه العبارات (سكنوا قلبي – رحلوا بالقلب – عقيق دموعى – دهري ليل – كأن الوصل به حلم – الصخر يغوض به القدم – السحب غدت تبكى) نراها بلغت منزلة كبيرة من حسن الصنعة وبراعة التصوير، كما أظهرت قدرة الشاعر على نقل الفكرة، وإبراز العاطفة، بما فيها من صور مجازية كالاستعارة والتشبيه والكناية، وقد جاءت هذه الصور معتدلة غير متكلفة تقتضيها الفكرة وتستدعيها التجربة، ويغلب عليها الحسية رغبة فى الوضوح والظهور، كما أنها صور تقليدية مستمدة من الموروث العربى، ولها ارتباط وثيق بالطبيعة ومظاهرها المختلفة.

(جـ) البديع:

للبديع دوره فى توضيح معالم الصورة وتلوين أجزائها وتشكيل عناصرها، وقد استعان الشهاب الحجازى فى قصيدته بألوان من البديع جاءت وفق ما اقتضته التجربة بعيداً عن الإغراق في الصنعة.

فمن نماذج الطباق قوله:

وتألق بـــــرق أرقنــى وأنارت لى منه الظلــم

وقوله:

وبه افتخرت أرض وسما بوطاءته لهما عظـــم

وقوله:

ياسيد أهل الأرض ومن سادت من خدمته الخدم

وقوله:

وعليك صـــلاة الله بها يبدا فى الكون ويختتـم

ثم يأتى الشهاب الحجازى بالجناس موظفاً له في نسج صوره ومن نماذجه عنده:

وكذا حجر وكذا حجر والركن كذا والملتـــزم

وقوله:

عذالى فيهم ما عرفوا ومتى عرفوا فهم فهموا

وقوله:

لكنهم وهموا جهــلاً مالى ولهم وهم وهموا

ويستخدم الشهاب ألوان أخرى كمراعاة النظير أو التكرار أو غيرها ولكن بقلة ليستعيين بها فى بناء صوره الفنية نائياً بها عن التكلف هادفاً بها إلى إضفاء مسحة من الجمال على فنه.

(د) الموسيقي في القصيدة:

الموسيقي الشعرية – فى أوسع صورها – كل ما يساعد على إثارة الوجد وتنبيه المشاعر وإيقاظ الأحاسيس فى القارىء والمتلقى بما تحدثه من نغم أخاذ ووقع منظم وإيقاع مرتل يأخذ بالنفس والقلب ويدعو إلى الانتباه والإصغاء، لا سيما أن النفس الإنسانية فطرت على حب التنغيم، وركبت يد القدرة فى مراكز أحاسيسها ما يستقبل تلك الإيقاعات العذبة التى يرتاح معها ويسر عند سماعها أو ترديدها وقراءتها.

والموسيقي فى القصيدة نوعان: داخلية وخارجية

– فالخارجية يشكلها عنصران الوزن والقافية بجانب كل ما له جرس موسيقى لفظى كالتصريع والجناس وغيرهما.

أما الوزن فقد اختار الشهاب الحجازى بحراً سهلاً للغاية هو المحدث أو المتدارك وهم بحر موحد التفعيلة وتفعيلاته فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن ثمانى مرات فى كل شطر أربع، قصير الوزن يتلاءم مع سرعة التنفيس وازدياد النبضات القلبية صالح لنسج الحكايات والسير والمديح والنظم العلمى وغير ذلك مما شاع فى العصور المتأخرة وذلك لسهولته وخفته، وقد سلم وزن القصيدة فى الكثير الغالب إلا ما طرأ على الوزن من التغيرات المقبولة من الزحافات والعلل عند أهل هذا العلم، ولم يأت الوزن مكسوراً إلا في بيتين هما:

والسحب غدت تبكى لندى بأكف سحت منها النعم

فالشطر الثانى مكسور، وقوله:

وتصدع إيوان لهم وبقي زمن ما به ثلم

فالشطر الثانى كذلك مكسور.

وأما القافية وهى شريكة الوزن فى إحداث التنغيم وهما معاً يختصان بالشعر، فقد اختار الشهاب الحجازى قافية الميم وهى قافية متميزة فى المديح لا سيما وقد جاءت مطلقة، ولعل فى مجيئه بهذه القافية تأثر بقافية شيخ المادحين "البوصيرى" فقد كانت قافيته فى بردته هى الميم، وجاءت مطلقة أيضاً، وهو ما أضفى عليها نوع من الجمال والأريحية.

– أما الموسيقي الداخلية: فهى تلك الوشائج والألوان البديعية واختيار الألفاظ وكل ما يستعان به على إبراز نغمة موسيقية وإيقاع داخل البيت الشعرى، وقد مر قبل ذلك فى دراسة الألفاظ والتراكيب فى القصيدة أن ألفاظ الشاعر وتراكيبه جاءت سليمة قد راعى فيها جانب السهولة والألفة والفصاحة كما جاءت خالية من كل ما يمت إلى الغرابة أو التعقيد، كما حرص الشاعر هنا على تصريع مطلع قصيدته توفيراً للجانب الموسيقي .

كما حرص على استخدام بعض المحاسن البديعية ذات النغم الموسيقي كالجناس وغيره، كما كرر صوتياً بعض ألفاظه وحروفه وهذا قد يكسب الأبيات إيقاعاً متناغماً كقوله:

ولكنهم وهموا جهلاً مالى ولهم وهم وهموا

وبعد فهذه أبرز معالم الموسيقي الداخلية فى ميمية الشهاب الحجازى بجانب ما تضمنته من معان كريمة ومضامين عظيمة.

الخاتمة

الحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظلام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد..

فقد رأيت أن أدرس هذه القصيدة لأعرض لأمرين هما: " ألقاء الضوء على حياة الشهاب الحجازى وأدبه والعصر الذى عاش فيه والظروف المحيطة به، والثانى دراسة نص القصيدة لتكون حلقة من حلقات السلسلة المتواصلة فى مديح سيد المرسلين @ بجانب ما جاء فى الدراسة من مباحث أخرى وخلصت الدراسة إلى:

- أن العصر المملوكى فيه من نقاط القوة ما لا يحصى على عكس ما يشاع عنه أنه عصر الانحدار أو الانهيار أو الضعف اللغوى والأدبى
- وجد فى هذا العصر العديد والعديد من الأدباء ما يربو على العد ويستعصى على الإحاطة منهم من ضاع أدبه فيما ضاع أيام الحروب، ومنهم من يحتاج من دارسى الأدب إلى نفض الغبار عن أدبه ودراسته وإظهاره للناس واضحاً جلياً.
- جاءت أفكار الميمية يتبع بعضها بعضاً بطريقة السرد القصصي فأظهرت الشاعر كأنه قاص لا شاعر .
- تبدو الميمية فى بعض مقاطعها كأنها أبيات من النظم العلمى لا تشعر معها بعاطفة .
- تأثرت القصيدة وصاحبها فى بعض أبياتها تأثراً كبيراً بالإمام البوصيري فى بردته فى مدح الرسول @ .

- وضعت الميمية وغيرها من قصائد المديح النبوى للشهاب الحجازى الشاعر (الشهاب) فى مصاف الشعراء الكبار ممن مدح الرسول @ فى العصر المملوكى .
- تأثر بعض الشعراء بمن سبقه لا سيما فى فن المديح النبوى كما تأثر شاعرنا "الشهاب الحجازى" فى بعض أبياته ومعانيه بالإمام البوصيرى.

هذا والله من وراء القصد والحمد لله أولاً وأخيراً

الباحث

المـــراجع

١- الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية – عبد اللطيف حمزة ط الهيئة العامة للكتاب.
٢- أسد الغابة فى معرفة الصحابة – ابن الأثير تحقيق خليل مأمون شيحا ط دار المعارف – بيروت.
٣- الإسلام والشعر – سامى العانى سلسلة عالم المعرفة.
٤- الأعلام – خير الدين الزركلى – ط دار العلم للملايين بيروت.
٥- الأغانى – أبو الفرج الأصفهانى – ط دار الفكر لبنان.
٦- الألفاظ الفارسية والمعربة –آدى شير – ط المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت.
٧- بدائع الزهور فى وقائع الدهور – ابن إياس الحنفى.
٨- البردة شرح شيخ الإسلام إبراهيم الباجورى – ط مكتبة الآداب – القاهرة.
٩- تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات – مصر – شوقي ضيف – ط دار المعارف.
١٠- تاريخ الأدب العربي – كارل بروكلمان ترجمة عبد الحليم النجار – ط دار المعارف.
١١- تاريخ آداب اللغة العربية – جرجى زيدان – ط دار الهلال.
١٢- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة – جلال الدين السيوطى – ط المطبعة الشرفية – حسين بك شرف.
١٣- دراسات فى الشعر العربي – محمد مصطفي هدارة – ط مطبعة التقدم – مصر.
١٤- ديوان الشهاب الحجازى – مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ١٥٠٤.
١٥- ديوان كعب بن مالك تحقيق سامى مكى العانى – ط دار المعارف – بغداد.
١٦- شذرات الذهب فى من ذهب – ابن العماد الحنبلى – ط مطبعة القدسي.
١٧- شعراء حول الرسول – عبده بدوى –ط الزهراء للإعلام العربى.

١٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – شمس الدين السخاوى – ط مكتبة القدسى – القاهرة.
١٩- طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحى – تحقيق محمود شاكر ط المدنى.
٢٠- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيروانى – ط دار الجيل – بيروت.
٢١- الفتح المبين فى طبقات الأصوليين – عبد الله مصطفي المراغى – ط محمد أمين دمج – بيروت.
٢٢- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون – حاجى خليفة – ط دار الفكر.
٢٣- لسان العرب – ابن منظور الإفريقي – ط دار المعارف – مصر.
٢٤- المدائح النبوية فى الأدب العربى – زكى مبارك – ط مصطفى البابى الحلبي ١٩٣٥م.
٢٥- المدائح النبوية – محمود على مكى–ط دار نوبار للطباعة القاهرة.
٢٦- معجم الأدباء من العصر الجاهلى حتى سنة ٢٠٠٢م – كامل سلمان الجبورى – ط دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٧- معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – ط دار الكتب العلمية.
٢٨- المنهل الصافى والمستوفي بعد الوافى – ابن تغرى بردى – تحقيق محمد محمد أمين – ط لهيئة العامة للكتاب.
٢٩- موسوعة عصر سلاطين المماليك – محمود رزق سليم ط مكتبة الآداب مصر.
٣٠- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – المقريزى – ط مكتبة الثقافة الدينية.
٣١- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين – إسماعيل باشا البغدادى – ط مكتبة المثنى – بغداد.